المحاضرة الخامسة: المداخل النظرية الكبرى في علم الاجتماع

ظهرت بظهور علم الاجتماع مجموعة من المدارس والتيارات والنظريات التي تعكس مدى غنى وزخم هذا العلم واختلاف توجهاته ومفهومه وكذا ظواهره ومناهجه، تاركة إرثا علميا مميزا ساهم في توجيه وإثراء الدراسات والبحوث الاجتماعية، كما أن علم الاجتماع يعتمد على عدة مداخل نظرية رئيسية تساعد على تفسير الظواهر الاجتماعية مثل الهيكل الاجتماعي، التفاعل الاجتماعي والتغير، هذه المداخل تطورت تاريخيا منذ القرن 19 وغالبا ما تصنف إلى ثلاثة تيارات رئيسة وهي:

1- المدخل الخلدوني: يقصد به المنهج الفكري والتحليلي الذي وضعه عبد الرحمان ابن خلدون.

2- المدخل الوضعي: هو أخد المداخل النظرية الأساسية في علم الاجتماع وضعه أوغيست كونت، يعتمد على فكرة تطبيق المنهج العلمي الطبيعي في دراسة الظواهر الاجتماعية.

3- المدخل الماركسي: هو أحد المداخل الرئيسة الكلاسيكية في علم الاجتماع مستمد من أفكار كارل ماركس، ويركز هذا المدخل على تحليل المجتمع من خلال الصراع الطبقي والعلاقات الاقتصادية كأساس للهيكل الاجتماعي.

وفيما يلي سنستعرض أهم **الاتجاهات النظرية** التي تستخدم في دراسة وتفسير الظواهر الاجتماعية:

1) الاتجاه البنائي الوظيفي:

جاء ظهور هذا الاتجاه كرد فعل على فشل وإخفاق كل من البنيوية و الوظيفية باعتبار كل منها أحادية الجانب، فالبنيوية تفسر الظاهرة بالنظر إلى الأجزاء والمكونات

المفردة التي تكون البناء الاجتماعي بمعزل عن الوظائف التي تؤديها، أما الوظيفية فتهتم بمعرفة مدى التفاعل القائم بين نظم المجتمع ككل وقدرة كل نظام من هذه النظم عل الحفاظ تماسك المجتمع واستمراره.

ويعتبر الاتجاه البنائي الوظيفي من أشهر الاتجاهات وأكثرها رواجا في علم الاجتماع خاصة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ويذهب مجموع العلماء في هذا الاتجاه إلى أنه مقتبس من علم الانثروبولوجيا ويستقي مصادره الأساسية منه أي أن البنائية الوظيفية صياغة جديدة لأفكار قديمة تعود إلى القرن 19 م، كما يشير أنصار هذا الاتجاه إلى العلاقة بين مفهومي البناء والوظيفة، فالبناء هو العلاقات النمطية الثابتة نسبيا للوحدات الاجتماعية بينما الوظيفية هي أي نشاط اجتماعي يقدم للبناء الاجتماعي وأجزائه الثابتة،أي أن البناء نسق من الأنماط المستمرة نسبيا، والوظيفة هي العملية الديناميكية في ذلك البناء من أهم علماء هذا الاتجاه نجد أوغست كونت،سبنسر وكذا إميل دوركايم.

2) **اتجاه الفعل الاجتماعي:**

يعد الألماني ماكس فيبر أحد أبرز مؤسسي نظرية الفعل الاجتماعي وأول المفكرين السوسيولوجين الذين دعوا إلى تبني هذا الاتجاه، حيث أن هذا الأخير يعطى أهمية كبيرة لدور الفعل والتفاعل بين أفراد المجتمع، ويقر فيبر في هذا الصدد أن أهم ما يميز الفعل الإنساني هي المعاني والمقاصد إذ يبرز دور علم الاجتماع في استيعاب المعاني المنطوية تحت الفعل الاجتماعي وتفسيره تفسيرا سببيا من خلال ربطه بالآثار والنتائج المترتبة عنه.

ويعرف ماكس فيبر الفعل الاجتماعي بأنه صورة للسلوك الإنساني الذي يشتمل على الاتجاه الداخلي أو الخارجي الذي يكون معبرا عنه بواسطة الفعل أو الإحجام عن الفعل، والفعل يصبح اجتماعيا عندما يرتبط المعنى الذاتي المعطى لهذا الفعل بواسطة الفرد

بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجها نحو سلوكهم، ومنه فإن نظرية الفعل الاجتماعي تقوم على قضية جوهرية وهي دراسة ما يتعلق بتفسير وتأويل السلوك الإنساني.

أي أن كل سلوك هو سلوك هادف، ووفقا لمنظور فيبر وتعريفه للفعل الاجتماعي لابد من فهم السلوك أو الظواهر الاجتماعية على مستويين: أن نفهم الفعل الاجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم، وأن نفهم هذا الفعل على المستوى الجمعي.

3) الاتجاه الصراعي:

تولد هذا الاتجاه عن الاتجاه البنائي الوظيفي الذي سيطر على الفكر الاجتماعي الغربي فترة طويلة من الزمن، ومع قيام الثورة الصناعية في انجلترا ونمو الصناعة بها ظهر هذا الاتجاه والذي استمد معارفه الأساسية من الفلسفة الألمانية المثالية خاصة أفكار الفيلسوف هيجل، الذي أطلق على عملية تصارع الأفكار وأنساقها إسم العملية الديالكتيكية، وكانت هذه الأخيرة بداية ظهور نظرية الصراع الاجتماعي عند كارل ماركس وبتبلور أسسها الفعلية في أعقاب أفكارها، حيث حول ماركس عملية الديالكتيك من صورتها العقلية الفكرية إلى صورتها المادية التاريخية.

ويقوم هذا الاتجاه على مفهوم أساسي وهو أن الإنسان يولد خيرا بطبيعته، والظروف والعوامل البيئية الخارجية المحيطة به هي المسؤولة عن تحول طبيعته الخيرة، وتؤثر سلبا في شخصيته وتحرفه عن المسار الصحيح والسوي.

ويتبنى أصحاب هذا الاتجاه وخاصة الماركسيون أن مصدر الصراع الاجتماعي هو الحاجة الملحة للإنسان في البقاء في ظل الظروف المعيشية المزرية التي كانت سائدة آنذاك كالفقر والعوز وقلة وندرة مصادر الغداء بسبب تفشي اللامساواة بين الأفراد اقتصاديا واجتماعيا.

4) الاتجاه التفاعلي الرمزي:

تأسست النظرية التفاعلية الرمزية بصورة فعلية إبان نهاية القرن التاسع عشر وترجع جذورها إلى أفكار العالم الألماني ماكس فيبر الذي أكد على أن فهم العالم الاجتماعي يكون من خلال فهم اتجاهات الأفراد الذين نتفاعل معهم، وأن فهم الظواهر الاجتماعية يكون من خلال تحليل الفعل الاجتماعي في المجتمع.

والتفاعلية الرمزية مدرسة أمريكية (حسب جورج هربت ميد) تحاول الربط بين حياة الفرد الداخلية المتمثلة في الذات والعقل، وبين المجتمع وما يحمله من نظام وأحكام قيمية وكذا أخلاقية تصدر عن الفرد الذي هو مصدر عملية التفاعل، وتقوم فكرة الاتجاه التفاعلي الرمزي على أن الحياة الاجتماعية التي يعيشها الإنسان هي حصيلة ونتيجة مجموع التفاعلات بين الأفراد والمؤسسات ، وجميع الكائنات الحية أو الميتة وهذه التفاعلات ناتجة عن رموز يكونها الأفراد اتجاه الآخرين بعد عملية التفاعل بينهم.

والتفاعلية الرمزية تعتبر شكلا أو وجها من أوجه سوسيولوجيا الفهم وهي تنتمي إلى السوسيولوجيا الأمريكية حيث ركزت هذه النظرية المعاصرة على مشكلات وقضايا معقدة تتمثل في دراسة السلوك والتفاعل، والمواقف الاجتماعية والجماعات الصغرى والفرد والمواقف والانفعالات، وغير ذلك من مشكلات متعددة.